

عبادة الأشجار والأحجار من دون الله تعالى

و كذلك ذكر الله أيضاً أنهم يعبدون الأشجار كشجرة العزي، وعبدون الأحجار كحجر مناة واللات ونحوها؛ ولهذا قال تعالى: { أَفَرَأَيْتُمُ الالاتِ وَالْعُرَى وَمَنَّاهَا التَّالِهَةُ الْآخِرَى } . الجواب محدود؛ تقديره: أخبروني ملذاً تفيدكم وما فائدتها؟! ثم قال: { إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَأَتَأُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَسْبِغُونَ إِلَّا الطَّنَّ وَمَا تَهْوِي الْأَنْفُسُ } فدل على أنها معبدات لا تفيد من عبدها. فهذا معنى أخبروني، { أَفَرَأَيْتُمْ } يعني أخبروني. ورد في بعض الآثار: أن الالات رجل كان يلت السوق للحجاج؛ يعني يضيق الحاج في الطائف فلما دفن تحت صخرة هناك، ثم أتوا على قبره ثم عبدوه، ثم عبدوا تلك الصخرة التي على قبره، وسموه باسمه الالات. قوله تعالى: { الالات } هذه الالات يسمونها الرببة عند اتركها لنا، فقال النبي - ثقيف ويسميها في الحديث الطاغية؛ لما أنهما أرادوا الدخول في الإسلام، قالوا: متعنا بالرببة سنة اتركها لنا، فقل النبي - صلى الله عليه وسلم - { لا، فقالوا شهرا، فقال: ولا ساعة } أرسل إليها المغيرة بن شعبة وغيره فكسروها بالفتوس حطموها حتى صارت رذاداً حتى لا يبقى لها أثر. أما العزي فهي شجرات بوادي نخلة بين مكة والطائف كان المشركون يعبدونها وبالأشخاص من أهل مكة و كانوا يحلفوون في أيمانهم "الالات والعزي"، ولما أسلموا بعث النبي - صلى الله عليه وسلم - إليها خالد بن الوليد فقطع تلك الشجرات، وأخبر النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: { هل رأيت شيئاً قال: لا، قال: فارجع فإنك لم تصنع شيئاً، فلما رجع وأخذ يقطعها رأى شيطاناً يعني جنية فعلاها بالسيف فقتلها وقال تلك العزي } وذلك لأن المشركين عندما يدعون هذه الشجرات يسمعون صوتاً، ويخبرهم بشيء من الأشياء؛ افعلوا كذا وأطيعوا كذا، وسوف يحدث لكم كذا وكذا، وهذا صوت هذا الشيطان، أو هذا الجن الذي يتكلم من أصل تلك الشجرة. وإلا فهم يعرفون أن الأشجار يأتي عليها الموت وأنها تموت، وأنها كانت معدومة ثم نبت وأنها لا تنفع ولا تضر كسائر بقية الشجرات، ولكن لما زين لهم الشيطان هذه الشجرة وأن فيها فائدة وتكلم فيها صوتها عند ذلك عبادوها. ومثلها أيضاً منا؛ بناية بالمشلل. عند قديد كان الأنصار أهل المدينة الأوس والخزرج يحرمون منها، وكان يراق عندها الدماء يعني الذبائح، قيل: إنها سميت منا لكثرة ما يعني عندها من الدماء؛ يعني ما يراق عليها، ما يذبح عندها من القرابين، وقيل: إنهم اشتقو لها أسماء من اسم الله تعالى المنان، أو أنها تم من عليهم يعني تعطفهم وتنفعهم. بعث النبي - صلى الله عليه وسلم - إليها علياً فهدمها، وللمشركين الأولين معبدات كثيرة كما لقوم إبراهيم تلك المعبدات التي كانوا يحتونها. ذكر أيضاً دليلاً أو قصة ذات أنواع شجرة كانت في المشركين من ثقيف وهو ازنون ونحوهم، كانوا يعلقون؛ يجعلون فيها عرى من حبال أو خيوط ويسمونها أنواعاً؛ يعني عرى ينوطون يعلقون بها أسلحتهم؛ يدعون أنهم إذا علقوا فيها السيف أو الخنجر أو الرمح كان أنكى له وأشد لوطنه عندما يقاتلون به، وذلك بلا شك اعتقاد في هذه الشجرة التي هي مخلوقة. بعض الصحابة كانوا حدثاً عهدهم بالشرك، ولما تذكروا شجرة هؤلاء المشركين التي هي ذات أنواع ومرروا بشجرة شبيهة بها فقالوا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواع كما لهم ذات أنواع؛ يعني شجرة نعلق فيها أسلحتنا حتى تناهى برకتها { فأنكر ذلك النبي - صلى الله عليه وسلم - وكبر ربه الله أكبر، إنها السنن - يعني العادات - قلتم والذي نفسى بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى { اجْعَلْ لَنَا آنَّهَا كَمَا لَهُمْ أَهْلُهُ فَالْإِنْكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ } } فقوم موسى لما أنجاهم الله تعالى من عدوهم ومرروا على قوم عندهم أصنام يعكفون عندها ويعبدونها طلبوا من موسى أن يجعل لهم إليها غير الله فقال: { أَعَيْرَ اللَّهُ أَبْعِيْكُمْ إِلَّا وَهُوَ قَصَّلُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ } . النبي - صلى الله عليه وسلم - شبه مقالة هؤلاء بذات أنواع بمقالة أولئك؛ بمقالةبني إسرائيل { اجْعَلْ لَنَا إِلَّا } ثم قال: { لتركتين سنن من كان قبلكم } يعني عاداتهم. الواقع أيضاً أن المشركين المتأخرین عندهم مثل ذلك، ذكر ابن الغنام في تاريخه "روضة الأذكار والأفهام" أن هناك نخلة - نخل يعني فحل في الدرعية - يقول في تاريخه: والمرأة إذا تأخر عنها الزواج ولم ترغب فيها الأزواج تأتي إلى ذلك الفحل وتضمه، وتقول: يا فحل الفحل أريد زوجاً قبل الحول. يعني في زعمهم أن هذه النخلة تجيئها، وأنها يحصل لها أنها تتزوج. وإذا قدر أنها تزوجت على وجه الصدفة، قالوا: نفعها فحل الفحل. وذكر أيضاً أن هناك كهفا يعني غار في جبل؛ يزعمون أن ابنة الأمير أرادها بعض أهل السوق بفاحشة، فلجان إلى ذلك الغار فاحتفظت واحتمت به ولم يقدر عليها، فكانوا يعظمون ذلك الغار؛ يأتون إليه بالأدھان يصبونها عليه ويتمسحون بحجارته ويرجون بركته؛ وهذا بلا شك شبيه بعادات الجahلية. وذكروا أيضاً في التاريخ أنه كان هناك شجرة في بلدة العينية وأنهم يعتقدون فيها، وأنهم يأتون إليها ويتبركون بها ويتمسحون بها فيزعمون أنها تفدهم وتنفعهم، ولما قام الشيخ - رحمه الله تعالى - في دعوته قال: اقطعوا الشجرة فكانهم خافوا، وقالوا: كيف تجرأ على قطعها، إن من قطعها شلت يداه أو عقد أو اخطفت نفسه؛ لأنهم يعتقدون فيها؛ اعتقاد الجahلية، عند ذلك قال: أنا أبدأ فأقطعها فلما بدأ يقطعها بالفأس وانتهى من قطعها، وساعدة عليها بعض تلاميذه طلوا أنه لا يصبح إلا وقد مات؛ انتقمت منه هذه الشجرة، فلما أصبح سليمان سوياً عرفوا أنهم على جهل.